التسلسل : ٢١ – ٣٠

اسم المادة : تاريخ الدولة الاموية

اسم المحاضرة: ملامح عصر الامام الصادق (عليه السلام) في شتى النواحي والمحاولات:-

١. <u>الوضع السياسي</u>:

لم يكن الوضع السياسي الذي يريد أن يتحرّك الامام الصادق (عليه السلام) به قد تبدّل، فهشام بن عبد الملك الذي اغتال الامام الباقر لازال هو الحاكم وأتبع نفس السياسة السابقة مع الامام الصادق وشيتعهِ، وهي سياسة قائمة على أساس الحقد الجاهلي وتتلخص في كلمتين هما التشريد والاضطهاد ومن أبرز ما شهدتهُ هذه الفترة:

ثورة زيد بن علي (عليهما السلام) سنة (١٢١) هجري:

كشفت ثورة زيد عُمق المأساة التي كانت تعيشها الأمة حيث تعرّض في زمن الإمام الباقر(عليه السلام) لإذلال وتوهين من قبل هشام بأعتبارهِ أحد رجال الأمة البارزين، وأخذ يزداد قناعة بضرورة الثورة ضد الامويين حتى صمم على ذلك، وحين أوضح له جابر بن يزيد الجعفي ما عمله من رأي أخيه الباقر بثورته وذكر لهُ أن مقتول لا محالة قال زيد لجابر: ((والله لو لم يكن إلا انا ويحيى أبني لخرجتُ عليه وجاهدتهُ حتى أفنى))، وعن محمد بن مسلم الثقفي: (أنَّ جمعاً من الشيعة كان يزعمون أن زيداً صاحب الأمر منذ عصر الامام الباقر (عليه السلام) فدخلت عليه وقلتُ لهُ ذلك فقال: لا ولكني من العترة).

وكان زيد دائماً يُسئل عن صاحب الأمر ويشيرون إليه ولكنه (عليه السلام) كان يجيب دائماً بقوله: ((لا ولكني من العترة فقيل له: فيمن تأمرنا؟ فأشار الى الصادق جعفر بن محمد(عليهما السلام)))، وكثيراً ما سمعوه يقول:((جعفر إمامنا في الحلال والحرام)).

لكثرة ما تعرّضت ثورة زيد وشخصية زيد للتشويه والتحريف لكنه عندما قرر الثورة لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر عليه ولقد قال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) :((سمعت أبي يقول: رحم الله عمي زيداً.. لقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك)).

وجمع زيد بن علي الانصار والدُعاة فأعلن ثورته وألتحق به عدد غفير من الناس وكان بينهم كثير من الفقهاء والمُحدثين والقُضاة من أصحاب الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، ولقد حقق زيد نصراً حاسماً ضد الامويين وجيشهم المتمثل بجيش أهل الكوفة يعاونهم خمسمائى من جيش الشام فهم جميعاً ألفان وثمنمائة فارس وراجل أما زيد فكان بمئتين وثمانية عشر رجلاً، وتكاثر معه الناس من أنصارهِ حتى بلغوا الخمسمائة بعدما كان عدد الذين بايعوه أثني عشر ألفاً، وأستمر القتال يومي الاربعاء والخميس من شهر المحرم الحرام ولقد حقق نصراً حاسماً ضد الامويين واتباعهم بعد أن خاض حرباً طاحنة كادت ان تنتهي لصالحه لولا وقوع الفتنة بين اتباعه حيث احتال عليه بعض من كان يهوى هشاماً وأرسله والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي، وسألوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال زيد:((رحم الله أبا بكرٍ وعمر صاحبي رسول الله محمد (ص) ثم قال لهم: أين كنتم قبل اليوم؟)).

لقد كان الغرض من إلقاء السؤال في ذلك الموقف الحرج وفي ساحة الحرب هو أحد امرين وفي كليهما نجاح تلك الخدعة، فإمّا أن يتبرأ زيد من الشيخين فيكون حينئذ أقوى لقتل زيد، لأنه أساء الى الشيخين وتلك وسيلة اتخذها الامويين للقضاء على خصومهم، وإما أن لا يتبرأ منهم فيكون جوابه على أي حال سبباً لإيجاد الخلاف بين أصحابه الموالين وبالفعل نجحت المؤامرة وتفرّق أهل الغدر وذو الأطماع وكانت هذه الحيلة التي أتبعها الموالي يوسف بن عمر أقوى سلاح لجأ إليه، كما اغرى بعض جواسيسه بالأموال ليتعرّف على أصحاب زيد.

وخذل زيد وتفرّق جيشه حتى قال: أراها حسينية، ونشب القتال يوم الخميس بين الفريقين قتالاً شديداً حال هبوط الليل دون استمراره وكان زيد قد أُصيب بجراح كثيرة كما أستقر سهم في جبهته، ونُقلَ عنه قوله: ((أين سائلي عن أبي بكر وعمر؟ هما أقاماني في هذا المقام))، وحمله أصحابه الى إحدى قرى الكوفة واستقدموا حجّاماً ليتزع نصله من جبهته فلما نزعه فارق زيد الحياة وأخذوا جثمانه ودفنوه في مجرى ماء وملؤا قبره بالأتربة والأعشاب وأجروا عليه الماء، وأخذ على الحجّام عهداً بألاّ يبوح بذلك لكنه عند الصباح أخبر ولي الكوفة بذلك، الذي أخرج الجسد الشريف وأحتز رأسه وصلبه منكوساً عارياً على جذع نخلة، وكان شهادته ودفنه ليلة الجمعة السادس والعشرين من محرم (١٢١) هجري.

وأمر يوسف بن عمر بحراسة جسد زيد لكي لا يُنزل فيدفن و أوكل بخشبته لكل ليلة مئة رجل وكلهم أربعمائة رجل وبنى لهم حول الجذع دكة من أجر وبعث براسه الى هشام فنصبه على باب دمشق ثمَّ أرسل به الى المدينة فصُلبَ حتى سنة (١٢٣) هجري.

وحينما وصل خبر استشهاده للإمام الصادق (عليه السلام) بكى بكاءاً شديداً وقال: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسب عمي إنه كان نِعمَ العم))، ثم قال: ((أما أنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً، أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها))، وطالما أكد على صدق موقف زيد وشهادته و منزلته السامية بقوله: ((مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء على ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابهِ)).

وحينما بلغه هجاء أهل حُكيم بن عباس الأعور الكلبي من أهل الكوفة بقصيدة منها:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يُصلبُ

وقستم بعثمان علياً سفاهةً وعثمان خيرٌ من علي وأطيبُ

رفع أبو عبد الله (عليه السلام) يديه الى السماء وهما ينتفضان رعدةً وقال: ((اللهم إن كان كاذباً فسلّط عليه كلباً)) فخرج حُكيم من الكوفة فأدلج فأفترسه الأسد وأكله فبُشِّر الصادق بذلك وهو في المسجد فقال: ((الحمد لله الذي صدقنا وعدهُ)) وسجد شاكراً.

وفي هذا الجو المشحون بتزاحم الإرادات وحدوث تمرّد على الحكومة الاموية هنا وهناك بعد ثورة زيد (عليه السلام)، كان الإمام الصادق (عليه السلام) مشغول بترتيب أوضاعه الرسالية، وكانت النُهم تُثار ضدّهُ وضد أتباعه تارة بالخروج على السلطان وأخرى بالزندقة وجواز سب الخلفاء.

وفي هذا الجو المشحون والاوضاع المتردية مات طاغية الشام هشام بن عبد الملك في يوم الاربعاء التاسع من شهر ربيع الأول سنة (١٢٥) هجري، توفي في الرصافة من أرض قنسرين وحسب عهد سابقه يزيد بن عبد الملك تولى الخلافة من بعده الوليد بن يزيد الفاسق.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦ هجري/٧٤٣-٧٤٤م):

كان يسمى بالفاسق والزنديق فلم يكن في بني أمية أكثر إدماناً للشراب ولا أشدُّ مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بامر الأمة والدين منه، ومن اخبار مجونهِ:

- ✓ أنه كان مع دواريه وهو سكران وجاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة فحلف أن لا يصلي إلا إحدى جواريه فلبست ثيابه وصلت وهي سكرانة.
- ✓ أصطنع بركة من الخمر فكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وكان يشرب منها حتى يبين النقص من أطرافها.
- ✓ وذات يوم وجّه مهندساً ليبني لهُ بيتاً على البيت الحرام بمكة ليجلس فيه للّهو وأنشد وهو سكران:

تلعب بالخلافة هاشمي — بلا وحي أتاهُ ولا كتاب

فقل لله: يمنعني طعامي! — وقل لله: يمنعني شرابي!

فلم يُمهَل بعد قولهِ هذا إلا أياماً حتى قُتِل.

وهو اول من حمل المغنين من البلدان إليه: كأبن شريح وابن عائشة وأبن محرز ودحمان والقريض ومعبد، فغلبت شهوة الغناء عليه وعلى خاصته والعامة وكان ماجناً خليعاً.

وقرأ ذات يوم قوله تعالى((وأستفتحوا وخاب كلُّ جبّارٍ عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديد))، فنصب المصحف غرضاً لنشابه وأقبل يرميه حتى مزّقهُ ويقول:

أتوعد كلَّ جبّارٍ عنيد — فها انا ذاك جبّارٌ عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر — فقل: يا ربي مزّقني الوليد

وقال لمن حاصره يوم مقتلهِ:(ألم أرفع المؤن عنكم، ألم أعط فقراءكم، ألم أزد في أعطياتكم؟ فقالوا:((إنا ما ننقم عليك في انفسنا إنما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله من شرب الخمر...)).

وروى السيوطي:((نظر اخوهُ سليمان بن يزيد الى رأسه وقال: بُعداً له أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً...)). هذا هو الوليد خليفة المسلمين وأمير المؤمنين.

أما أبرز أحداث عصره فهي:

١. أمر بإنزال جثمان زيد الشهيد (رحمه الله) بعد أن بقى أربع سنوات على أعواد المشانق وأمر بإحراق الجثمان حيث كتب الى عامله على الكوفة يوسف بن عمر:(خذ عجل أهل العراق فأنزله جذعه وأحرقه بالنار ثم أنسفه في اليم، ونفذ يوسف ما امر فأحرق جسد زيد بن علي وذره في نهر الفرات).
٢. مقتل يحيى بن زيد: بعد مقتل زيد بن علي (رحمه الله) تفرّق من بقي من أصحابه وفيهم يحيى أبنه الذي خرج الى نينوى ومنها الى المدائن ومنها الى خراسان واستقر اخيراً في سرخس لمدة ستة أشهر، وعرض عليه المحكمة وهم الخوارج التعاون معه ضد بني أمية لكنه رفض ذلك لأنهم قوم يبرأون من جدّهِ علي وأهل بيته، لكن والي خراسان (نصر بن سيار) ألقى القبض عليه وزجه في السجن وكتب الى هشام بحالة ووصل الكتاب يوم وفاة هشام وتولى الوليد بن يزيد الخلافة فكتب اليه بإطلاق سراحه فأطلقه فذهب الى سرخس ثم بهق وهناك انضم اليه سبعون رجلاً فأعدَّ نصر عشرة آلاف رجل لقتال يحيى فدارة المعركة بين الطرفين فكان النصر حليف يحيى وأصحابه فأنتصر على هذا الجمع الذين ولوا الدبر، عندها تحوّل الى هرات ثم جوزجان التي تقع بين مرو وبلخ من بلاد خراسان وعند استقراره فيها بعث اليه (نصر بن سيار) سليم بن الاحور في ثمانية آلاف فارس أغلبهم من أهل الشام وألتقى الجيشان ونشب القتال بينهما واستمر ثلاثة أيام حتى فني جيش يحيى الذي أصيب بسهم في جبهته ارداه شهيداً فأحتز أبن الاحور رأسه بعد مقتله وبعثه الى نصر الذي بعثه الى الوليد ثم عروه من ملابسه وصلبوا جسده بجوزجان وبقي معلقاً فيها من سنة (١٢٥) هجري وحتى اندلاع الثورة العباسية في خراسان بقيادة أبو مسلم الخراساني الذي قتل قاتله سليم بن الاحور وجمع كبير من قتلته ثم أنزله وصلّى عليه ودفنه، ثم أقيمت مجالس العزاء على يحيى في خراسان وما حولها لمدة أسبوع، كما ان كل مولود ولد تلك السنة أعطى اسم يحيى، وإليه أشار دعبل الخزاعي لقصيدته الشهيرة (مدارس آيات) بقوله: ((وأخرى بأرض الجوزجان محلها)).

المصدر: الشيخ محمد هادي اليوسف الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي.